

أضواء البيان

@ 366 @ ءَالِهَتَكُمْ° { . .

وبين مكر رؤساء الكفار في قوله : { بَلْ مَكْرُ السَّيْلِ وَالذَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَّا أَنْ نَسْكُفُّرَ بِلَالَةٍ } . والمكر : إظهار الطيب وإبطان الخبيث ، وهو الخديعة . وقد بين جل وعلا أن المكر السيء لا يرجع ضرره إلا على فاعله . وذلك في قوله : { وَلَا يَحْقِيقُ الْإِمْلَاقُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ } . قوله تعالى : { فَأَتَتْى اللّٰهُ بُنْدِيَانَهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ } . أي اجتثه من أصله واقتلعه من أساسه . فأبطل عملهم وأسقط بنيانهم . وهذا الذي فعل بهؤلاء الكفار الذين هم نمرود وقومه كما قدمنا في (سورة الحجر) فعل مثله أيضاً بغيرهم من الكفار . فأبطل ما كانوا يفعلون ويدبرون . كقوله : { وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } وقوله : { كُلِّمْنَا أَوْ قَدُّوا نَارًا لِّلْجَحْرِ } أطفأها اللّٰهُ } ، وقوله { اللّٰهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا } وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْإِمْلَاقِ مِنَ الَّذِينَ فَعَاءَتْتَبَرُّوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ } إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ } . أي يفضحهم على رؤوس الأشهاد ويهينهم بإظهار فضائحهم ، وما كانت تجنه ضمائرهم ، فيجعله علانية . .

وبين هذا المعنى في مواضع آخر ، كقوله : { أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ } أي أظهر علانية ما كانت تكنه الصدور ، وقوله : { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ } . .

وقد بين جل وعلا في موضع آخر : أن من أدخل النار فقد ناله هذا الخزي المذكور ، وذلك في قوله : { رَبَّنَا إِنَّا إِذْ دَخَلْنَا الدَّارَ فَقَدَدْ أَخْزَيْنَا } وقد قدمنا في سورة (هود) إيضاح معنى الخزي . قوله تعالى : { وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة . أنه يسأل المشركين يوم القيامة سؤال توبيخ ، فيقول لهم : أين المعبودات التي كنتم تخاصمون رسلي وأتباعهم بسببها ، قائلين : إنكم لا بد لكم أن تشركوها معي في عبادتها .

وأوضح هذا المعنى في مواضع آخر ، كقوله : { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } ، وقوله : { وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ }

